٢١ـ درس في بيان المناسك التي تؤدى في أيام التشريق

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

هذه الأيام المباركات، التي هي يوم عيد النحر، يوم الحج الأكبر، وأيام التشريق الثلاثة، اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، هذه أيام مباركات، أيام معدودات، كما قال الله جل وعلا: ﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعْدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. هي هذه الأيام.

والتي يشرع فيها أداء أغلب مناسك الحج، فيبدأ فيها رمي جمرة العقبة يوم العيد، ثم ذبح الهدي لمن يريد أن يذبح هدياً تطوعاً، أو هدياً واجباً لحج أو عمرة، إلا أن هدي التطوع إنما يفعله المسلم من غير إلزام، وأما هدي التمتع والقِران فهو هدي واجب ونسك من مناسك الحج، وهناك نوع ثالث من أنواع الهدي وهو: هدي الجبران، وهو الذي يذبح لترك واجب من واجبات الحج، أو فعل محظور من محظورات الإحرام، وهذا الأخير ليس له وقت، بل وقته يبدأ من حدوث سببه.

والأعمال التي تعمل في هذه الأيام هي:

رمي جمرة العقبه، وهي من أول ما يقدم الحاج إلى منى، يبدأ برمي جمرة العقبة، لأنها تحية منى، ثم بعد ذلك يذبح هدياً إن كان معه هدي، هذا هو الأفضل، ثم بعد ذلك يحلق رأسه أو يقصر، ثم يتحلل من إحرامه ويلبس ثيابه ويتطيب بعد الرمي والحلق أو التقصير، وإن نزل إلى مكة وطاف طواف الإفاضة في يوم العيد وسعى بعده سعي الحج فهذا أفضل، وإن أخر الطواف إلى ما بعد ذلك فالوقت موسع ـ ولله الحمد ـ.

وأيام التشريق من أعمالها أيضاً أن المسلم يبيت لياليها في منى، وهذا واجب

مـن واجبات الحج، ويقيم نهارها هذا أفضل أنه يمضي الليل والنهار في منى، لكن ليلها واجب ونهارها مسـتحب، وبقاؤه في منى هذه الأيام أفضل من أن يذهب إلى مكة إلا لطواف الإفاضة والسعي، وأما طواف التطوع فالأفضل أن يبقى في منى ولا يذهب؛ لأن النبي ﷺ بقي فيها الليل والنهار إلى أن أكمل أربعة الأيام، فالبقاء فيها أفضل وهو عبادة.

وكذلك مما يشـرع فيها رمي الجمار أيام التشـريق، ثلاث الجمرات الصغرى ثم الوسـطى ثم الكبرى، كل جمرة بسـبع حصيات متعاقبات، ورمي الجمار يبدأ من زوال الشمس في اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر بدخول وقت الظهر، ويسـتمر إلى الغروب، وإن احتاج إلى الرمي في الليل بعد المغرب أو بعد العشـاء، خصوصاً في الزحام والخطر فلا بأس أن يرمي في المسـاء، ولوبعد غروب الشمس، أو بعد صلاة العشـاء، من أجل أن يتفادى المسلم الزحام والخطر ويكون عنده وقت في تحين الفرص.

ومن أحكام أيام التشـريق: ذبح الهدي، ويبدأ من صـلاة العيد يوم النحر، أو مقدارها ويمتد إلى غروب الشـمس في اليوم الثالث عشـر، فإذا غربت الشمس في هذا اليوم انتهى وقت الذبح.

ومن أحكام أيام التشـريق ما ذكر الله ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

والتعجل معناه: أنه إذا أراد في اليوم الثاني عشـر أن يرمي الجمرات بعد الظهر، أو بعد العصر، ويرحل من منى قبل غروب الشمس فقد تعجل في يومين، فإن أراد أن يسـافر يمر بالبيت ويطوف للوداع ويسـافر، وإن أراد أن يقيم في مكة أو حواليها فلا مانع بعد الحج، لكن عندما يريد السفر لا بد من الوداع؛ لأنه «أمر ﷺ أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض»[1].

(١) أخرجه البخاري برقم (١٨١٦)، ومسلم برقم (١٢٠١).

فأيام التشـــريق كلها خير ولله الحمد، وإن أراد أن يبقى ليلة الثالث عشـــر ويرمي الجمـــار في اليوم الثالث عشـــر بعد الظهر فهذا أفضل، وهـــو الذي فعله النبي ﷺ لكن من تعجل فلا حرج بالشـــرطين المذكورين، أن يرمي الجمار ابتداءً من الزوال، وأن يخرج من منى قبل غروب الشمس، أما إذا لم يرم الجمار، بأن غربت الشمس وهـــو لم يرم الجمار فلا يتعجل، أو رمى الجمار لكنه لم يرحل من منى حتى غربت الشمس، هذا لا يرحل ويلزمه المبيت لأنه لم يتعجل.

فهذا هو جملة ما يفعل في هذه الأيام المباركات التي نوه الله بشـــأنها قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ﴾ أما الأيام المعلومات فهي عشر ذي الحجة كما قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]. الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة، وأما الأيام المعدودات فهي أيام التشـــريق، وكلها أيام خير وبركة وذكر لله ـ عز وجل ـ، وكلها ينتفع فيها المسلمون بالطاعة سواء كانوا حجاجاً أو غير حجاج، المسلمون في بقاع الأرض يشاركون في الأجر.

نســـأل الله ـ عز وجل ـ أن يوفق الجميع لصالح القول والعمل وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

● ● ●

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٧/ ٥٦٥.

٢٢ـ درس في شرح حديث خطبة النبي ﷺ في اليوم الحادي عشر

بســم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسـلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

فإن النبي ﷺ خطب في هذا اليوم خطبة بليغة ذَكَّرَ فيها الناس، وبين لهم قواعد الإسلام، ومن جملة ما قال عليه الصلاة والسلام: «**أي يوم هذا؟**» قالوا الله ورسوله أعلم، فسـكت حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه، ثم قال: «**أي شهر هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، فسكت ﷺ حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه، ثم قال: «**أليس هذا اليوم الأوسـط من أيام التشـريق؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**أليس هذا الشـهر شـهر ذي الحجة؟**» قالوا: بلى يا رســول الله، قال: «**أليسـت البلد مكة؟**» قالوا: بلى يا رســول الله، قال: «**فإن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ألا هل بلغت**»(١).

فهذه خطبة عظيمة، أعلنها رسول الله ﷺ في أصحابه، في البلد الحرام والشهر الحرام، وفي أيام التشـريق، ذكر فيها ﷺ أن الله حرم على المســلمين دماءهم، فلا يجـوز لأحد أن يعتدي على حياة أحد بالقتل؛ لأن هذا من أعظم الظلم والعدوان، قــال الله جل علا: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]. وقال سبحانه وتعالى عــن اليهود: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ أي في التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائـدة: ٤٥]. وقال ســبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٧٩).

قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة: ٣٢]. فلا يجوز الاعتداء على دماء الناس بالقتل، أو على أبدانهم بالضرب، أو على أعضائهم بالقطع أو الجناية، قال ﷺ: «**كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه**»[١]، وقد جعل الله في القتل العمد عقوبتين؛ عقوبة عاجلة وعقوبة آجلة، أما العقوبة العاجلة فهي القصاص ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨]. ومعنى كتب: يعني وجب وفرض وهذا من باب العدل بين الناس وحماية أنفسهم وحماية حياتهم من العدوان، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[٢]، الثيب الزاني يرجم حتى يموت، والثيب هو: الذي سبق له أن وطئ امرأته بنكاح صحيح، لأنه عرف قيمة العرض وقيمة الحرمة، فهذا يرجم بموجب الحكم الشرعي، وينفذ ذلك فيه ولي أمر المسلمين، والنفس بالنفس وهو: القصاص. والتارك لدينه وهو: المرتد عن الإسلام. هؤلاء يقتلون، أما من عداهم فلا يجوز قتل مسلم؛ لأن قتل المسلم بغير حق من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله ـ عز وجل ـ، والعقوبة الآجلة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]. نسأل الله العافية.

وأعراضكم، والعرض: هو ما يقبل المدح والذم من الإنسان، فيحرم الكلام فيه بالغيبة أو النميمة أو بالقذف أو بالشتم أو بالسب، لأن هذا اعتداء على أعراض الناس، وأشده القذف ـ والعياذ بالله ـ، والقذف هو: الرمي بالفاحشة، أي: بالزنى أو باللواط، بأن يقال: فلان زنى أو فلان فعل اللواط، أو يا زانٍ أو يا لوطي هذا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٨٧٨)، ومسلم برقم (١٦٧٦).

قذف، وقد جعل الله في القذف عقوبتين عقوبة عاجلة وهي الجلد: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [النور: ٤ ـ ٥]. وعقوبة آجلة في الآخرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٣ ـ ٢٥]. ليس كلاماً يقال وينتهي وتتشفى ممن تبغضه أو بينك وبينه خصومة تتشفى منه بالقذف، المسألة محفوظة وهناك عدالة إلهية، لو أفلت منها القاذف في الدنيا لم يفلت منها في الآخرة. فعلى المسلم أن يحترم أعراض المسلمين.

كذلك الغيبة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ [الحجرات: ١٢]. وقد بينها النبي ﷺ بقوله: «**هي ذكرك أخاك بما يكره**»، قيل: يا رسول الله أفرأيت إن كان في أخي ما أقول. قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته**»(١)، وليس ذلك من إنكار المنكر، فالغيبة هي المنكر نفسه؛ لأنه لا يترتب عليها فائدة، أما النصيحة فهي مطلوبة، إذا رأيت على أخيك عثرة أو زلة أو نقيصة في دينه، فإنه يجب عليك مناصحته سرّاً، بينك وبينه مع الاحترام ومع الكلام الطيب، تنصحه وتبين له، وأما الكلام فيه وهو غائب في مجالس الناس، فهذا هو المنكر وليس من إنكار المنكر، إلا إذا كان ذلك على وجه إبلاغ من يأخذ على يده ويمنعه من جرمة.

كذلك النميمة وهي: الوشاية بأن يمشي بالنميمة يجيء هذا ويقول: (قال فيك فلان كذا وكذا)، ثم يذهب إلى الآخر ويقول: (قال فيك فلان كذا وكذا)، فالنميمة هي نقل الحديث بين الناس على وجه الوشاية فيما بينهم، والنميمة من كبائر

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٩).

الذنوب، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٣]. والنمام من يمشي بالنميمة، وقد مر النبي ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان**»، فقد أطلعه الله ـ عز وجل ـ على الميتين في القبرين أنهما يعذبان من أجل البيان للأمة، وهذا من معجزات الرسول ﷺ أن الله يطلعه على شيء من الغيب، ومن الغيب أحوال الموتى في القبور، هذا من الغيب، الناس يمرون على القبور ولا يدرون أن أصحابها يعذبون، والرسول ﷺ علم ذلك فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة**»، هذا الشاهد من الحديث «**وأما الآخر فكان لا يستتر من البول**»[1]، يعني: يتساهل في البول يصيب جسمه ويصيب ثوبه ولا يستنجي ولا يستجمر من البول، لأن البول نجاسة، فإذا تبول الأنسان فإنه ينشف المخرج ويستنجي بالماء أو يستجمر بالحجارة، وإذا أصاب البول ثوبه أو بدنه فإنه يغسله ويتطهر لصلاته.

وكذلك حرمة مال المسلم فالله ـ جل وعلا ـ حرم الاعتداء على أموال الناس بغير حق، لأنها ملكهم لا يجوز الاعتداء عليها بغصب سواء كانت أرضاً أو غير ذلك، قال ﷺ: «**من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه طوقه في سبع أرَضين يوم القيامة**»[2]، ولعن رسول الله ﷺ الذين يغيرون منار الأرض[3]، وهي المراسيم التي بين الأملاك؛ لأن أموال الناس محترمة لا يجوز الاعتداء عليها، أو الاعتداء بالسرقة فالذي يسرق تقطع يده ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝﴾ [المائدة: ٣٨].

وكذلك أخذ أموال الناس بالغش، فالذي يغش في البيع والشراء ويحلف بالكذب

(١) أخرجه البخاري برقم (٢١٨)، ومسلم برقم (٢٩٢).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٢)، ومسلم برقم (١٦١٠).
(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩٧٨). بلفظ: «... **ولعن الله من غير منار الأرض**».

مـن أجـل أكل أموال الناس، هذا لا ينظر الله إليه يـوم القيامة، ويلقى الله ـ عـز وجـل ـ وهو عليه غضبان، كما صح ذلك في الحديث عن رسول الله ﷺ.

وكذلك الذي يأخذ أموال الناس بالحرابة، فالذي يقطع الطريق على الناس ويعوق السبل وينهب الأموال بالقوة هذا من المفسدين في الأرض ومن المحاربين لله ولرسوله، ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٣٣﴾ [المائدة: ٣٣]. هذه عقوبتهم، يعتدون على الناس بالقوة، أو يسطون عليهم في البيوت، أو في الدكاكين بالسلاح، أو يتعرضون لهم في الطرقات، في البر ويقطعون السـبل ويعوقون التجارة والمنافع بـين الناس، يخوفون الآمنين، هؤلاء لهم عقوبة قاسـية تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، تقطع يده اليمنى من مفصل الكف، وتقطع رجله اليسري من مفصل القدم، لأن الرجل فيها كعبان، الكعب الذي يقطع منه وهو ما تحت معقد الشراك يفصل بين القدم وبين العقب، وتقطع القدم ويبقى له العقب فقط، يمشـي عليه والكعب الثاني العظمان الناتئان في أسفل الساق، هذا هو الذي ذكره الله في الوضوء ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة: ٦]. والمراد بالكعبين هنا العظمان الناتئان في أسـفل الساق، فتقطـع يد المحـارب من مفصل العقب، ويبقى بلا يد وبـلا رجل، عقوبة له على جريمته النكراء.

ومن ذلك الذين يتعرضون للحجاج عند الجمرة، وفي المطاف وينشلون ما معهم في جيوبهم أو في حزاماتهم التي يشدونها على وسطهم، يأتي مجرم وينقب الجيب أو الحزام ويأخذ ما فيه، هذا إذا مكن الله السـلطة منه فإنه تقطع يده لأنه سـارق، مجرم.

وكذلك التعرض للناس في تجمعاتهم في الأسـواق أو في المسـاجد لينشـل ما معهـم، هذا يقبض عليـه وتطبق عليه العقوبة، هذا في الدنيا، وفي الآخرة جزاؤه

عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ، إذا لم يتب أما إن تاب، تاب الله عليه.

فهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام في حماية الدماء وحماية الأعراض وحماية الأموال، فإذا أمن الإنسان على هذه الثلاث، أمن على دمه وأمن على عرضه وأمن على ماله عاش كريماً مطمئناً، وهذا ما يريده الإســـلام أن يعيش المسلمون في أمن واطمئنان، حتى الكفار إذا كانوا في بلاد المسلمين بإذن منهم فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، لا يجوز الاعتداء عليهم إذا كان بيننا وبينهم عهد أو دخلوا بلادنـــا بأمان فلا يجوز لنا أن نعتدي عليهم ونقول: هـــؤلاء كفار، هذا في الحقيقة اعتداء على الإســـلام، وهذا في الحقيقة خيانه للإســـلام، فلا يجوز الإعتداء عليهم وفاءً بالعهد ووفاءً بالأمان، قال ﷺ: «**من قتل معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله لم يرح رائحة الجنة**»[1]، فإذا كان هذا مع الكفار، فكيف بالمسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله وآمنوا بالإسلام؟ فلا يجوز الاعتداء عليهم لأن الله أمنهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

فالذي يعتدي على أمنهم فإنه يعتدي على عهد الله ـ سبحانه وتعالى ـ، والله له بالمرصاد حتى لو أفلت من عقوبة الدنيا فلن يفلت من عقوبة الآخرة، فإذا سلم من إقامة الحد فقد يســـلط الله عليه عقوبات أخرى في الدنيا، وفي الآخرة أشـــد إذا لم يتب إلى الله ـ عز وجل ـ.

فعلى المسلم أن يتقي ربه ـ عز وجل ـ ويجتنب حرمات الله ويعظمها ولا يعتدي علـــى الناس في دمائهم ولا في أعراضهـــم ولا في أموالهم، بعض الناس قد يعظم الدمـــاء فلا يعتدي على دماء الناس ويعظم الأموال، لكنه يتســـاهل في الأعراض، ويعتبـــر هذا مـــن إنكار المنكر ويتكلم فـــي الناس بالغيبة والنميمة، وهذا أشـــد من الأمـــوال، لأن المال يأتي وإذا ذهب له عوض وله خلف لكن العرض إذا ذهب ليس

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤١٩)، بلفظ: «من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»، والترمذي برقم (١٤٠٣).

له خلف، ولهذا يقول الشاعر:

أصـون عرضـي بمـــالي لا أدنسـه | لا بـارك الله بعد العرض فـي المـالِ
أحتـال للمـال إن أودى فأجمعـه | ولسـت للعـرض إن أودى بمحتـالِ

هــذا وبالله التوفيق، وصلى الله وســلم علــى نبينا محمد وعلــى آله وصحبه أجمعين.

• • •

٢٣ـ درس في بيان عبادات الحج التي هي من ذكر الله تعالى

بســم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلــى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قــال الله تعالــى: ﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [البقرة: ٢٠٣].

﴿۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ﴾ هذه الأيام المعدودات هي أيام التشــريق، يضاف إليها يوم العيد، تكون أربعة أيام، ثلاثة أيام، أيام التشــريق ويوم العيد، يوم الحج الأكبر.

أما الأيــام المعلومات المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج: ٢٧ ـ ٢٨]. فالمــراد بها عشــر ذي الحجــة، إذاً تتواصل الأيام المعلومات مع الأيام المعدودات، وتكون كلها أيام ذكر لله سبحانه وتعالى.

وقــال: ﴿أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾. تخفيفاً على الناس، حتى يخف على الناس أمرها مــن جهة الصبر على الطاعة وأداء المناســك والاطمئنان؛ لأن بعض الناس يتضايق ويستعجل في أداء المناســك ويسرع فيها لأن الشيطان يحثه على ذلك، وهــو جــاء مــن بعيد يريد الخير ويريد الأجر والثواب، فيجب عليــه أن يطمئن؛ لأنه في خير وفي نعمة.

فالصــلاة الواحدة فــي المســجد الحــرام بمئة ألف صلاة، والطاعات والمناســك والعبادات لا يعلــم أجرها إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ. والحج المبرور ليس له جزاء

إلا الجنـة، قال ﷺ: «**من أتى هـذا البيت فلم يرفث ولم يفسـق رجع كيوم ولدته أمه**»[1]، خيرات كثيرة وعظيمة فلماذا لا يطمئن المسـلم في هذه الأيام ويحمد الله ويشكر الله.

قد أمر الله ـ سـبحانه وتعالى ـ عباده الحجاج، وحتى غير الحجاج، أن يذكروا الله في هـذه الأيام، لكن الحجاج يذكرون الله بأداء مناسـك الحج، وغير الحجاج يذكـرون الله بالتكبير أدبـار الصلوات الخمس مع الجماعـة، يكبرون ويكثرون من التكبيـر في أدربار الصلوات الخمس مع الجماعـة. وهناك ذكر واجب، وهناك ذكر مستحب؛ الذكر الواجب يكون بأداء الفرائض والواجبات كالصلوات الخمس، وأداء زكاة الفطـر، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، وسـائر الواجبات فإنها مـن ذكر الله ـ عز وجل ـ، ذكر قولي وذكر فعلي، وهناك ذكر مسـتحب وهو الطاعات غيـر الواجبة من قولية أو فعلية، وكل الأعمال الصالحة وكل العبادات فإنها من ذكر الله عـز وجل، والله عز وجل يقول: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. ويقول: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾ [الأنفـال: ٤٥]. ويثني على أولي الألبـاب ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وذكر الله في هذه الأيام المعدودات يشمل أشياء شرعها الله في هذه الأيام.

أولاً: يكون ذكر الله بالنزول في منى هذه الأيام، كما نزل النبي ﷺ فيها وأن يبقى فيها ليلاً ونهاراً، وبقاؤه النهار مسـتحب، وفي الليل واجب، وكونه يمضي الوقت فـي منى هذه الأيام أفضل له من أي عمل آخر، لكن نرى بعض الناس لا يصبرون على البقاء حتى ولو وجدوا فيها منازل يذهبون ويستأجرون غرفاً وشققاً مؤثثة ومبردة ومرفهة، ويحرمون أنفسهم من البقاء في منى، وما يجدونه من الحر فيها ومن الضيق فيها فهو في سـبيل الله ـ عز وجل ـ؛ لأن الحج جهاد، فلماذا يحرمون أنفسهم من

(١) أخرجه البخاري برقم (١٨١٩، ١٨٢٠)، ومسلم برقم (١٣٥٠).

هذا الأجر؟ لا نقول إن سـكنهم في العزيزية وفي الشقق مُحَرَّمٌ، لكن نقول: فوتوا على أنفسهم أجراً كثيراً، جاؤوا من أجله، ما جاؤوا من أجل الرفاهية والنزهة، وإنما جـاؤوا للعبادة، فلماذا لا يصبـرون على منى وحرها وما فيها من ضيق، وهي أيام معدودات ليحصلوا على أجر عظيم. والحج جهاد ليس نزهة وفرجة.

فالجهاد: بذل الجهد في طاعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ، فالمبيت في منى والبقاء فيهـا هـذه الأيام هو من ذكر الله وعبادة لله ـ عـز وجل ـ. ومن لم يحصل على منزل في منى، فإنه ينزل في طرف الحجاج خارج منى، لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

ثانيـاً: ومِـنْ ذِكْرِ الله في هذه الأيام المعـدودات الصلوات الخمس في منى، كما فعـل النبي ﷺ فإنه أقام في منى هذه الأيام وصلى فيها الصلوات الخمس، في كل يوم وليلة، يقصر الصلاة الرباعية الظهر ركعتين والعصر ركعتين والعشـاء ركعتين، ولا يجمع بين الصلوات، بل هو قصر بلا جمع؛ لأن الحاج مقيم والجمع إنما يحتاج إليه لمن جد به السير أو المريض الذي يحتاج إلى الجمع، أما المقيم فإنه يصلي صلاة مسافر لكن لا يجمع، بل كل صلاة في وقتها كما فعل النبي ﷺ.

ثالثـاً: ومِـنْ ذِكْرِ الله في هذه الأيام: رمي الجمـار، فرمي الجمار ذكر لله ـ عز وجـل ـ، كما قال ﷺ: «**إنمـا جعل الطواف بالبيت والسـعي بـين الصفا والمروة ورمـي الجمـار لـذكر الله**»[1]، فرميك للجمار ذكـر لله وعبادة لله، ليس هـو رجماً للشيطان كما يزعم بعض العوام، إنما هو ذكر لله؛ لأن الله أمرك بهذا والرسول ﷺ فعل هذا، وأنت تتابع الرسـول، فهذا ذكر لله ـ عز وجل ـ، لا شـك أن الشيطان تغيظـه كـل عبادة، ومنها رمـي الجمار، فهـو يغتـاظ مـن العبادات، ولكن ليس القصـد مـن رمي الجمار رمـي الشـيطان، وإنما القصـد عبادة الله وذكـر الله ـ عز وجل ـ، ولهذا تكبر مـع كل حصاة، تقول: الله أكبـر، فـإذا قلت: الله أكبر ورميت

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٩٠٢)، والترمذي برقم (١٨٨٨)، وأحمد برقم (٢٤٣٥١).

الحصاة فـقد ذكرت الله بالقول وبالفعل.

فـي يوم العيـد ترمي جمرة العقبة ابتداءً من منتصف الليـل، ليلة النحر إلى أن تغرب الشمس، كل هذا وقت ترمي فيه جمرة العقبة بسبع حصيات ولا ترمها بأكثر من ذلك، لأن رسول الله ﷺ بين أنها تُرمى بسبع فقط فلا تزد عليها، وأيضاً ترميها بحصيات صغار، كما رماها النبي ﷺ وقال: «**خذوا عني مناسـككم**»(1)، وأما في الأيام الثلاثة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، فإنها ترمى ـ الجمار الثلاث ـ كل واحدة بسبع حصيات، فأنت عبد تمتثل أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ فترمي الجمار الثلاث يوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، كل واحدة بسبع حصيات، لا ترمي إلا في وقت محدد، وهو إذا زالت الشـمس يبدأ الرمي، ويستمر إلى غروب الشـمس، فالرمي يبدأ بعد دخول وقت الظهر، كما رماهـا النبي ﷺ ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحـزاب: ٢١]. والنبـي ﷺ قال: «**خذوا عني مناسـككم**»، وقد رمى في الأيـام الثلاثة بعد الزوال، فلـو كان الرمي جائزاً قبل الزوال لبين ذلك لأمته ولم يتركه بدون بيان، وقد جاء من يقول: إنها ترمى ضحى، فنقول: لا سـمع ولا طاعة، لا نرميها ضحى إنما نرميها بعد الظهر. ويستمر الرمي المختار إلى غروب الشمس فإذا لم ترمِ في النهار جاز أن ترمي بعد غروب الشمس، لأن المساء داخل فيما بعد الزوال، فترميها بعد الغروب، لأن النبي ﷺ رخص للرعاة أن يرموا ليلاً، فدل على الجواز بعد الغروب، وأما قبل الزوال فلم يرخص لأحد لا الرعاة ولا غير الرعاة أن يرموا ضحى في أيام التشريق.

رابعاً: وكذلك من ذكر الله في هذه الأيام ذبح الهدي، سواء كان هدي تطوع أو هدي نسك، كهدي التمتع والقران، يذبح في هذه الأيام يوم العيد وثلاثة أيام بعده، من مغيب ليلة الرابع عشر ينتهي وقت الذبح، وينتهي وقت الرمي، وتنتهي أيام منى المعـدودات، فذبح الهدي في هذه الأيام ذكر لله ـ عز وجل ـ، كما قال ـ تعالى ـ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٩٧).

عن الأبل: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ [الحج: ٣٦]. يعني قائمة معقولة اليد اليسرى، صواف برجليها، لأن هذا أسهل في الذبح وأجهز للذبيحة وأسهل عليها من نحرها وهي باركة، فهذا من ذكر الله ـ عز وجل ـ.

الذبح لله عبادة. من ذبح لغير الله فقد أشرك الشرك الأكبر، كالذي يذبح للقبور رجاء نفعها، وأن تدفع عنه الضرر واتقاءً لشـــرها، فالذبح لغير الله يعد شـــركاً أكبر يخـــرج من الملـــة وفي الحديث: «**لعن الله من ذبح لغيـــر الله**»(١)، الله ـ جل وعلا ـ يقـــول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢ـ ١٦٣].

والنســـك: هو الذبيحة، وكما أن الصلاة لله وحده فلا يُصلَّى لصنم ولا لقبر ولا لشـــجر ولا لحجر، كذلك لا يُذبح إلا لله، فذبح التقرب والعبادة لا يذبح إلا لله، قـــال تعالـــى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝﴾ [الكوثر: ٢]. كذلك قرن النحر مع الصلاة دل على أنه عبادة لا يجوز أن يذبح لغير الله لقصد التقرب إليه أو خوفاً من شره أو طمعـــاً فـــي نفعه، إنما يذبح على وجه التقرب لله ـ عـــز وجل ـ، وهذا من ذكر الله ـ عز وجل ـ في هذه الأيام.

خامســـاً: وكذلك من ذكـــر الله في هذه الأيام التكبير المقيـــد في أدبار الصلوات الفرائض مع الجماعة، فإذا صلى الفريضة مع الجماعة وسلم منها فإذا انصرف الأمام بوجهـــه إلى المأمومين كبر، وَكُلٌ يكبر لنفســـه: «الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد». طيلت هـــذه الأيام الاربعة، وهذا من ذكر الله ـ عز وجـــل ـ، مـــن التكبير المقيـــد في أدبار الصلوات الخمـــس مع جماعة ذكر لله ـ عز وجل ـ.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٧٨).

إذن فوقت المسلم في هذه الأيام، وفي هذا المكان، مستغرق في جميع العبادات وأنواعها، ومن عبادة إلى عبادة، فهو في خير وفي روضة من رياض الجنة، حيث إن هذه العبادات تربي النفوس وتزكي القلوب وتطهر الأعمال، فهو في خير منوع من خير إلى خير واجب أو مستحب في هذه الأيام.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ما المراد باليومين؟ الحادي عشر والثاني عشر، إذا رمى الجمرات في اليوم الثاني عشر بعد الظهر فله أن يرحل من منى، وينه مناسكه، فيكون متعجلاً، بشرط أن يخرج ويرحل قبل غروب الشمس.

الشرط الأول: أن يرمي الجمرات ما بين زوال الشمس إلى ما قبل غروب الشمس.

الشرط الثاني: أن يرحل من منى قبل غروب الشمس، أما لو رمى ولم يرحل قبل الغروب لم يكن متعجلاً، ولو نوى التعجل لا يكفي هذا، لابد من الفعل وهو التعجل، وكذلك لو رحل ولم يرمِ لا يجوز له ذلك، لابد من الشرطين.

وإن تأخر وبات ليلة الثالثة عشرة، فهذا أفضل من التعجل لأن النبي ﷺ تأخر ولم يتعجل. فقوله تعالى: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ يغلط فيه بعض الناس، فيظن اليومين ابتداءً من يوم العيد فينفر في اليوم الحادي عشر ويقول: أنا تعجلت، بناءً على فهمه غير الصحيح، واليومان هما: الحادي عشر والثاني عشر، ولا يدخل يوم العيد في أيام التشريق وإنما هو يوم مستقل.

بل إن بعضهم إذا وقف في عرفة وطاف وسعى سافر إلى أهله ويقول: الحج عرفة، نعم صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الحج عرفة**»[1]، لكن ليس معناه أن كل مناسك الحج هي الوقوف في عرفة، الوقوف في عرفة ركن من أركان الحج، وأركان الحج أربعة وواجباته سبعة.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٩٤٩)، والترمذي برقم (٨٨٩)، والنسائي (٥/ ٢٥٦، ٢٦٤)، والبيهقي (٥/ ١٥٢، ١٧٣)، والحاكم (٢/ ٢٧٨).

لكن الرســـول ﷺ قال: «**الحج عرفة**»، يعني: أعظـــم أركان الحج عرفة، مثل قولـــه ﷺ: «**الدعـــاء هو العبـــادة**»[١]، مع أن الدعاء نوع واحـــد من أنواع العبادة، لكـــن لما كان هـــو أفضل أنواع العبادة حصر العبادة فيـــه لفضله فقال: «**الدعاء هو العبادة**»، كذلك «**الحج عرفة**» أي: هو أعظم أركان الحج، وليس معناه أن من وقف بعرفـــة انتهى حجه، كمـــا يفهم بعض الجهال والمغالطـــون، ويذهبون ويتركون بقية أعمال الحج، هذه مغالطة للشـــرع، ومن العجب أنه جاء إلى مكة من مكان بعيد، وأنفق الأموال وتعب في الســـفر وتلاعب به الشـــيطان فأهدر بقية المناسك ورجع، هذا الذي يريده الشـــيطان، الشـــيطان يريد أن يفسد عليك العبادة، فلنحذر من هذا العدو، ولنقبـــل على عبادة ربنا، ولنكمل العبادات، قال الله جل وعلا: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ [محمـــد: ٣٣]. وقال جل وعلا: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٩٦]. وذلك بأداء المناســـك في أوقاتها وفي أمكنتها كما شـــرع الله ـ سبحانه وتعالى ـ، لا كما نريد نحن، فلا نكيف العبادات على رغبتنا بل نؤديها كما شـــرع الله سبحانه وتعالى. فقوله تعالى: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ أي: هذا أكمل أن يبقى في منى ثلاثة الأيام، على هذه العبـــادات العظيمة، هذا أكمل وأعظم أجراً، وهو الذي فعله النبي ﷺ، لكن الله ـ جل وعلا ـ رخص في النفور في اليوم الثاني عشر تخفيفاً على الناس، ولله الحكمة فـــي ذلك من أجل أن يتدرج الناس فـــي الرحيل من منى ولا يتزاحموا ويرحلوا في وقت واحـــد، وقوله: ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ لا إثم على من تعجل بل حجه تام. وما يفهمه بعض الناس أنه إذا أراد أن يتعجل يرمي جمرات اليوم الثالث عشـــر مع اليوم الثاني عشر، مع أن اليوم الثالث عشر لم يأت بعد فلا ترم جمراته مقدماً.

ثـــم قال: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ لا إثم على مـــن تعجل أو تأخر لمـــن اتقى الله ـ عز وجـــل ـ، عمل بتقوى الله لأداء أوامره واجتنـــاب نواهيه طمعاً في ثوابه وخوفاً من

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٤٧٩)، والترمذي برقم (٢٩٦٩)، وابن ماجه برقم (٣٨٢٨).

عقابه، ســمي ذلك تقوى لأنه يقي من عذاب الله، العبرة ليس في صورة العمل، التعجل أو التأخر، العبرة بالتقوى، تقوى القلوب.

ثــم قال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ أي: تيقنوا أنكم إليه تحشــرون يوم القيامة، كل الخلائق تحشر يوم القيامة الأولون والآخرون ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨﴾ [المرســلات: ٣٨]. ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ٤٩ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٥٠﴾ [الواقعــة: ٤٩ ـ ٥٠]. يجتمــع أول الخلق وآخر الخلق في صعيد واحد، يحشرون ويجمعون في صعيد واحد.

أنتــم رأيتم تكتل الناس، والزحام الشــديد، وما فيه من الخــوف، وما فيه من الترويعات، حشــر يوم القيامة أشد، تذكر الحشــر الأكبر، هذا حشر مصغر، يذكر بالحشــر الأكبر، الذي هو حشر يوم القيامة، فاستعدوا لهذا الحشر بالعمل الصالح، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾. كل مسلم يعتقد أنه يحشر إلى الله ولا ينكر البعث إلا الكافر، لكن الشــأن الاستعداد لهذا الحشر، أما مجرد أنك تعتقد وتؤمن ولا تعمل فهذا لا ينفعك شيئاً.

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

• • •

٢٤ـ درس في تفسير قوله تعالى:

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ ...﴾ الآية

بســم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسـلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله تعالـى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠٢].

هذه الآيات في سياق الآيات النازلة في أحكام الحج في سورة البقرة، وفيها يقول الله سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ قضيتم: أي فرغتم من أداء المناسك لأن القضـــاء يطلق عدة إطلاقات منها الفراغ فقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم﴾ يعني: فرغتم من أداء المناسك مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ [الجمعة: ١٠]. يعني: فُرِغ من أدئها، ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أتبعُوا أداء المناسك بذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالتسبيح والتهليل والتكبيـر والاســتغفـار والدعـاء والتضرع إلـى الله ـ سبحانه وتعالى ـ؛ لأن العبادات تتبع بالذكر كما في الصلاة ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ﴾ [النســاء: ١٠٣]. ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠]. فيتبع المسلم أداء الفرائض بالذكر ولايتبعها بالغفلة والانشغال عن طاعة الله، أو يقول أنا أديت الفريضة ويكفي، بل يتبعها بذكر الله ـ سبحانة وتعالى ـ.

ولهذا فالصلوات الخمس تتبع بالذكر بعد السلام، كما ثبت ذلك في السنه، أنها

تتبع بالاســـتغفار والتهليل، وتتبع أيضاً بالتســـبيح والتحميد والتكبير على حسب ما ورد في الســـنة، فالإنســـان ينبغي له أن يكون دائماً مع ذكر الله، إما بأداء واجب أو فعل مستحب، أو ذكر الله بلسانه بالاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير، وينبغي أن يكون دائماً متعلقاً بذكر الله ـ سبحانة وتعالى ـ لا يغفل عن الله.

فقوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

فكما أن الانســـان يتعلق بوالديه، ودائماً يذكر والديه لإحســـانهما إليه فإن المحســـن الأعظم هو الله ـ جل وعلا ـ، ينبغي أن يتعلق بالله أكثر مما يتعلق بالوالدين، وذلك أن الطفل إذا مسه شيء من الضر، أو من الألم، أو من الخوف ينادي والديه: يأبت يا أمي. فكذلك المســـلم ينادي ربه ـ ســـبحانه وتعالى ـ، كلما وقع في كربة، كلما وقع في شدة، كلما وقع في مظلمة، أو كلما عبد الله ـ جل وعلا ـ وأدى فرائضه، قلبه متعلق بربه ـ سبحانه وتعالى ـ، ومن ذلك الحجاج إذا أدوا المناسك فيتبعون ذلك بذكر الله ويكون أشد من ذكرهم لآبائهم.

قيل: المعنى أشد من ذكر الأطفال لآبائهم إذا وقعوا في شده أو وقعوا في ضيق.

وقيل: معنى ذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا فرغوا من الحج فإنهم يتفاخرون بآبائهم، كل واحد يذكر مآثر آبائه في موســـم الحج أمام القبائل، فيعتبرون الحج موسماً لمدح آبائهم وأجدادهم، وتفاخرهم بقبائلهم، والله ـ جل وعلا ـ أبطل هذه العادة الجاهلية وأمر المسلمين بأن يذكروا الله بدل أن يذكروا آبائهم، المسلمين يستبدلون ذلك بذكر الله ـ ســـبحانه وتعالى ـ فهذا فيه استبدال ما كان عليه أهل الجاهلية من استغلال موسم الحج للدعايات السياســـية، أو الدعايات القبلية كلٌّ يذكر قبيلته أو كلٌّ يذكر دولته أو حزبه الذي ينتســـب إليه، هذا من عمل الجاهلية. الحج لم يشـــرع لذلك، إنما شرع الحـــج لذكر الله ـ ســـبحانه وتعالى ـ، كما في الحديث «**إنما جعـــل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لذكر الله ـ عز وجل ـ**»[1]، ولم يجعل الحج

(١) أخرجه أبو داود برقم (٩٠٢)، والترمذي برقم (١٨٨٨)، وأحمد برقم (٢٤٣٥١).

موسماً للتفاخر وذكر الأمجاد، لأن هذا من أمور الجاهلية التي أبطلها الإسلام.

﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ الله ـ جل وعلا ـ يجب أن يذكر أكثر من ذكر الآباء، وأكثر مـــن ذكر الأقارب، لأن النعم كلها منه ـ ســبحانه ـ، وهـــو ربنا، فيجب أن تتعلق قلوبنا به، وأن تلهج ألســنتنا بذكره، وتسبيحه وتهليله ودعائه والتضرع إليه، هكذا ينبغي أن يكون المسلم.

ثـــم قال جل وعلا: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ هذا أيضاً من عادات الجاهلية أنهم كانوا إذا فرغوا من الحج يدعون بأمور الدنيا، اللهم اجعله عـــام خصب، وعام خير وعام كلأٍ ومطرٍ؛ لأن همهـــم الدنيا، فيطلبون من الله أن يجعل هذا العام عاماً مخصباً، وأن يعطيهم من مصالح الدنيا، ولا يطلبون الآخرة، أو يقولـــون: اللهم اغفر لنا، اللهم ارحمنا، اللهم أدخلنا الجنة وأعذنا من النار، ما يذكرون الآخرة إنما يطلبون الدنيا ويدعون الله بمصالح دنياهم، يتعجلون في دعائهم الدنيا لا يدعون الله في أمور الآخرة، هذا من أمور الجاهلية ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي: ما له في أمور الآخرة من نصيب، ما له في الجنة وطلب الجنة من نصيب، لا يطلب الجنة والنجاة من النار، إنما يطلب أمور الدنيا، فهذا مما يجعل المسلم لا يقتصر في دعائه على أمور الدنيا، وإنما يطلب الدنيا والآخرة.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً﴾ يســـأل الله مـــن خيري الدنيا والآخرة، لا مانع أنك تطلـــب الرزق، وتدعو الله أن يرزقك وأن يعطيـــك، وتدعو الله بنزول المطر، لكن لا تقتصر على هذا، بل تدعو بهذا وتدعوا بأمور الآخرة من باب أولى، فالمؤمنون جمعوا في دعائهم بين خيري الدنيا والآخرة، واختلفت عبارات المفســـرين في حسنة الدنيا وحسنة الآخرة، منهم من يقول: حسنة الدنيا الزوجة الصالحة، وحسنة الآخرة الجنة، ولكن الآية عامة فتطلب من الله خيري الدنيا والآخرة، والله ـ جل وعلا ـ غني كريم، قريب مجيب، لا يغضب، ولا يكره أنك تســـأله، وتكثير السؤال، ولا تتعاظم شيئاً تطلبه مـــن الله. فالله ـ جل وعلا ـ

ليس ببخيل، ويحب منك أن تسأله، وأن تعظم السؤال، وتطلب ما تريد من الله ـ جل وعلا ـ، لأنك تسأل غنيّاً كريماً مجيباً لا يتعاظمه شيء أعطاه، وكلما أكثرت من السؤال زاد قربك من الله ومحبة الله لك، فأكثر من الدعاء.

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ هذا المهم هذا دعاء المسلمين، أنهم يستعيذون من النار، أما أهل الجاهلية فلا يأتي ذكر النار على ألسنتهم ولا على قلوبهم، لأنهم لا يؤمنون بالبعث والحساب، وإنما يتعلقون بأمور الدنيا، أما أهل الإيمان فهم يسألون الله من خيري الدنيا والآخرة، وأعظم ما في الآخرة النجاة من النار ودخول الجنة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فالمسلم دائماً يتذكر الآخرة، ويتذكر الجنة والنار، ولا يغفل عنهما، بل يكثر من سؤال الله النجاة من النار ودخول الجنة، والله ـ جل وعلا ـ قريب مجيب.

والحج فرصة للدعاء والتضرع، وموسم عظيم، وهو مظنة الإجابة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ، هذا هو توجيه الرب ـ سبحانه وتعالى ـ للحجاج عند نهاية المناسك، أنهم يكثرون من الدعاء ويختمون بالدعاء والاستغفار والتوبة وطلب خيري الدنيا والآخرة، والله ـ جل وعلا ـ يحب ذلك منهم وقد أمرهم به، وهو قريب مجيب يعطيهم ما سألوا ويعيذهم مما استعاذوا منه، لكن الشأن في العبد أن يصدق مع الله ـ جل وعلا ـ، وأن يدعو الله بقلب حاضر وأن يتخلى عن أكل الحرام، وشرب الحرام، فإن أكل الحرام مهما دعا صاحبه فإنه لا يستجاب له، كما في الحديث: **«الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنَّى يُستجاب لذلك»**[1].

أيضاً يجب على الحجاج أن يتوبوا إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ؛ لأننا كلنا

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

خطـــاؤون وخيـــر الخطائين التوابون، فعلينـــا أن نتذكر ذنوبنا وســـيئاتنا ونتوب منها ونســـتغفر الله منها، ولا أحد يســـلم من الذنوب والسيئات، ولكن الشأن في التوبة الصحيحة والاستغفار الصحيح، المصحوبين بترك المعاصي وعدم الرجوع إليها، هذا هو المطلوب.

نسأل الله ـ عز وجل ـ أن يوفقنا وإياكم لصالح القول والعمل وأن يتقبل منا حجنا وأعمالنا وأن يغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا وســـيئاتنا، إنه قريب مجيب وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

• • •

٢٥ـ درس في الحث على الاستغفار وذكر الله في ختام المناسك

بســم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وســلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله تعالـى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠١].

في هذه الآيات يذكر الله ـ جل وعلا ـ ما يختم به المسلم أداءه المناسك في الحج، وذلك بذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ، فإن الذكر مشروع في كل وقت وفي كل حال، ولكن يشرع في ختام العبادات أكثر فتختم العبادات بذكر الله ـ جل وعلا ـ، ليكون مكملاً لنقصها ويكون زيادة فيها، فالله ـ ســبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ﴾ [النساء: ١٠٣]. ويقــول ســبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠].

وتختم العبادات بذكر الله والاســتغفار، فإن الاستغفار من ذكر الله، بل هو من أعظــم أنواع الذكــر، تختم به العبادات من حج وغيره، والاســتغفار معناه: طلب المغفرة، لأن الإنســان وإن أدى العبادة فإنه يحصل منه تقصير فيها، فيحتاج إلى أن يكمل ذلك بالاســتغفار عما حصل منه من خلل ونقص، ولذلك كان النبي ﷺ إذا سلم من صلاة الفريضة يقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله ثلاث مرات.

والله ـ جل وعلا ـ أمر بالاستغفار في آخر الليل في ختام قيام الليل، فإن المسلم إذا قام من الليل وأدى الوتر يختم ذلك بالاستغفار قال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٨]. يقومون من الليل ثم يختمون ذلك بالاستغفار بالأسحار وقت السحر، وأمر الله نبيه ﷺ أن يختم عمره بالاستغفار. قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾.

﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾. قال بعض المفسرين: كانوا في الجاهلية إذا حجوا وانتهوا من مناسكهم، يقفون ويفتخرون بآبائهم وقبائلهم، كل يمدح قبيلته ويذكر آباءه ومفاخرهم، ويتفاخرون فيما بينهم بعد الحج، فكأنهم إنما جاؤا لأجل إظهار مكانتهم ومدح أبائهم وقبائلهم، ما كأنهم جاؤوا لعبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ، فينتهزون اجتماع الناس في هذا الموسم لهذا الغرض، الذي ليس فيه نفع لهم لا في الدنيا ولا في الآخرة، وإنما فيه العجب والتفاخر والكبر، فالله أمر بدل أن يذكروا آباءهم ومفاخرهم أن يذكروا الله ـ عز وجل ـ، الذي هو ربهم وخالقهم والمنعم عليهم بجلائل النعم، فهو أحق أن يذكر ويشكر، فالله ـ جل وعلا ـ أبدل عادة الجاهلية في ختام المناسك بالمفاخرة، أبدله بذكر الله ـ عز وجل ـ، وهذا الاجتماع وهذا الموسم إنما شرع لأجل ذكر الله وشكره والثناء عليه وعبادته، وفي ذلك الخير للناس، ويرجعون مغفوراً لهم كفرت عنهم سيئاتهم، ويختمون عملهم بذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ، هذا خير عمل، والله ـ جل وعلا ـ شرع لعبادة بعدما يفرغون من حجهم، أن يكثروا من ذكر الله ـ جل وعلا ـ، ويشكروه على نعمه، ويستغفروه من ذنوبهم وتقصيرهم، هذا هو المطلوب.

وقال البعض الآخر من المفسرين معنى الآية ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾:

أن الطفل معروف عنه أنه إذا احتاج الشيء أو آذاه أحد، أنه يستنجد بآبائه لينصروه؛ لأنه لا يعلم أحداً من الخلق أقرب إليه من آبائه، وهذا شيء معروف عند الأطفال، فالله أمر المؤمنين أن يظهروا ضعفهم لربهم وأن يستغيثوا به ويستنجدوه، كما يستنجد الطفل بأبويه لأن حاجتهم إلى ربهم أشـد من حاجـة الطفل إلى أبويه، وعلى كلٍّ الله ـ جـل وعلا ـ أمر بذكره بعد قضاء المناسـك، والإكثار مـن ذلك، ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، فينبغي للمسـلم أن يلجأ إلى الله ـ عز وجل ـ أشد مما يلجأ هذا الطفل إلى والديه.

ثم ذكر ـ سبحانه وتعالى ـ أن الناس بعد فراغهم من الحج ينقسمون إلى قسمين: قسـم ليس له هم في الآخرة، وإنما يسـأل من الدنيا فيطلبون من الله أن يجعله عاماً خصيباً ممطراً، ويجعل فيه الخصب لمواشـيهم، وأن يرزقهم من المال، ليس لهم هم إلا الدنيا، ولا يذكرون الآخرة ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي: ماله نصيب من الآخرة ولا يتذكرها.

والفريق الثاني من الناس الذين وفقهم الله، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ يسـألون الله من خيري الدنيا والآخرة، لا يقتصرون على سؤال الآخرة فقط، ولا يقتصرون على سـؤال الدنيا فقط، وإنما يجمعون بين طلبي الدنيا والآخرة لأنهم بحاجة إلى الدنيا وبحاجـة إلى الآخرة، والدنيا مطية الآخرة، فإذا أصلح الله لك دنياك وآخرتك فقد سـعدت وقرت عينك، أما إذا نسـيت الآخرة واقتصرت على الدينا فهذه خسارة، والدنيا زائلة وما كتب الله لك في هذه الدنيا سيأتي، وكذلك لا تقتصر على الآخرة وتنسـى الدنيا، فأنت بحاجة إلى الدنيا لتستعين بها على الآخرة، وأنت بحاجة إلى الرزق والصحة، بحاجة إلى كل ما ينفعك ويعينك على طاعة الله سـبحانه وتعالى ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]. فالمسلم يدعو ربه لآخرته ولدنياه، يسأل

الله من خيري الدنيا والآخرة، ولاســيما في هذه الأيــام، وفي هذا المكان، وعلى إثر العبادة وأداء المناســك، فإن هذا مظنة قبول الدعاء، فعلى المســلم أن يغتنم هذه الفرصة وأن يكثر من ذكر الله، ومن الدعاء وســؤال الله ـ عز وجل ـ، وأن يعترف بتقصيره ولا يقل: أنا أديت المناسك بل يعترف بتقصيره ؛لأنه لا يدري هل تَقَبَّل الله منه، ولا يفتخر بحجه، مثل ما يفعل بعض الناس من تلقيبه بالحاج فلان، هذا من باب الافتخار وما يدريك أنه حاج، هذا لا يعلمه إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ، والله ـ جل وعــلا ـ يقــول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧]. ويقول جــل وعــلا: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢]. ولكن المســلم يرجو رحمة الله ولا ييأس من روح الله، أما إنه يكل نفســه ويفتخر بعبادته فهذا ربما يبطل ثوابه وربما يرجع بدون شــيء، لكنه إذا اعترف بتقصيره واستغفر الله مــن ذنوبه وذكر الله ـ عز وجل ـ وأظهر فقره وحاجته إلى الله فهذا حري أن يرجع بالخير الكثير.

فهكذا ينبغي للمســلمين، وهم الآن في ختام المناســك، ينبغــي لهم أن يكثروا من ذكر الله ـ عز وجل ـ، بالتســبيح والتهليل والتكبير والتحميد والاستغفار، وأن يهتمــوا بهـــذا الأمرالعظيم، وإذا كان الذي يعبد الله يحتاج إلى الاســتغفار فكيف بالــذي يعصي الله ويخالف أمره، هذا يحتاج إلى الاســتغفار أكثر، إذا كان العابد المصلي الحاج والمعتمر مأموراً بالاســتغفار بعــد العبادات، فكيف بالمذنب والعاصي المقصر، فإنه أولى بذلك، ونحن كذلك نحن المذنبون والمقصرون والغافلون، فنحن أولى بطلب المغفرة والعفــو عن تقصيرنا، وهذا فيه أيضاً أن الإنسان لا يكمل نفسه، ولا يظــن أنــه أدى الحج على الوجه المطلوب لكن يــرجو ذلك رجاءً، أما أن يجزم أنــه أدى الحج على الوجه المطلوب، فهذا غلــط وغرور، فهو يرجــو ذلك ويخاف مــن النقــص ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠]. فهذا فيه أن الإنســان لا يكمل نفســه، ولا يزكي عمله، ولا يدعي

الكمال، وإنما دائماً يعتبر نفسه مقصراً في حق الله، وهو كذلك، وهـذا أكمل الخلق عبـادة لله نبينا محمد ﷺ يقول لربه: «**لا أحصي ثنـاءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسـك**»(١). فـإذا كان الرسـول ﷺ لا يحصي ما يجب عليه لله. أي لا يحصي ما يسـتحق الله من الثناء والحمـد والشكـر، قـال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]. فإذا كان رسول الله ﷺ لا يحصي الثناء على الله بل هو يعتبر نفسـه مقصراً في ذلك، فإن غيره من بـاب أولى، فعلينا جميعاً وعلى جميع المسـلمين أن يحافظوا على دينهم، وعلى عباداتهم وطاعتهم لله، وعليهم أن يكثروا من الاسـتغفار والتوبة عن سـيئاتهم وتقصيرهم في عباداتهم، وأن لا يغفل المسلم عـن ذكر الله على كل حال بالقلب واللسـان وبالعمل، دائمـاً يذكر الله عز وجل ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحـزاب: ٣٥]. ومن علامـات المنافقين أنهم لا يذكرون الله إلا قليـلًا، فقلة ذكر الله علامة علـى النفاق، والإكثار من ذكر الله علامة على الإيمان، فيكثر المسـلم من ذكر الله ـ عز وجل ـ، بدل أن يشغل نفسه بالقيل والقال والضحك والغفلة، لا يغفل عن ذكر الله ـ عز وجل ـ، هذا هو الشـأن في المسـلم لاسيما الحجاج الذين مَنَّ الله عليهم بأداء هذه المناسك، والوقوف في هذه المشاعر، والطواف بالبيت العتيق، والسعي بين الصفا والمروة.

مَـنَّ الله عليهم بذلـك، عليهم أن ينطلقوا من هذا الحج وهم في أحسـن حال من جهة عبادتهم لله ـ عز وجل ـ، تائبين من ذنوبهم وتقصيرهم، مسـتمرين على طاعتهم، لا يطيعون الله في الحج فقط، وإذا انصرفوا إلى بلادهم عادو إلى السوء، فيكون من الذين قـال الله فيهم: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝﴾ [البقرة: ٢٠٥ ـ ٢٠٦]. بل إذا انطلق من الحج

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).

يكون مؤمناً ذاكراً لله ـ عز وجل ـ، ناصحاً لنفسه ولإخوانه المسلمين يكون قد تربى

[redacted]

